

الحلقة السابعة

# بعض السبل لمعالجة ضعف الوعي الضريبي في العراق

د. توفيق الصراياتيا



وإعاً : العامل الإداري :

ان ارتفاع مستوى كفاءة الادارة الحكومية وحسن تنظيمها، يشعر المواطن بان ما يدفعه كضريبة سيعود عليه بالمنفعة العامة، الامر الذي يساعد على انضاح الوعي الضريبي وتنميته ويحد من محاولات التهرب الضريبي، وفي نفس الوقت عندما يرتفع مستوى كفاءة الموظفين فعند ذلك سيؤدي الى تحسن ادارة جباية الضرائب (1) .  
لقد عاش العراق الفترة التي تناهز سبعة قرون تحت خيمة الحكم الاجنبي في كل ما يحمل من ظلم وتعتسف اداري، الامر الذي ادى الى خلق فجوة عميقة وعسداء فديين بين مواطنيه وبين الحكام الاجانب كان لها الاثر البالغ في تكوين الموقف السلبي لدى المواطن العراقي تجاه الدولة بصورة عامة والضرائب بصورة خاصة .

لقد استهدفت الادارة العثمانية بالمقام الاول جباية الضرائب باكثر قدر ممكن وتوريدها الى العاصمة العثمانية، واستخدمت من اجل ذلك القوة واساليب البطش بواسطة الموظفين الاداريين الذين لم تعدد مهمتهم سوى معاضدة رغبات الحكومة وجمع الضرائب، وبالرغم من الاساليب القمعية وسطوة الجهاز الاداري والمجالس العسكرية التي تشنها السلطات ضد القبائل باستحصال الضرائب منها، فقد كان نفوذ القبائل العربية يسود معظم أنحاء العراق، فلا سلطان للحكومة الا في مراكز المدن (الولايات)، وكانت القبائل العربية والكردية تقطع الاراضي الزراعية وتقيم الحدود الشرعية، وتجبي الضرائب والرسوم القانونية وتزاول معظم الاعمال التي تمارسها الادارة المحلية القائمة الآن في البلاد وكأنها مؤسسات رسمية قائمة بذاتها (2) .

كان الولاة العثمانيون لا هم لهم الا رضاع وتحقيق المطالب المالية للباب العالي، بل انهم لم يستطعوا البقاء في وظائفهم دون استغلال الناس وسلب ثرواتهم فيدفعوا جزءا للباب العالي ويحتفظون بالباقي لانفسهم . وقد سيطرت فكرة عدم احتفاظ الوالي بوظيفته طويلا بحيث قادت الى استشهائه الرشوة والمحسوبية في الادارة . اما مصالح الناس فقد اعتمد على قضائهم على القدرة على الدفع . لذلك أصبح الوعي الاداري في العهد العثماني في اقصى درجات الانحطاط الوظيفي والفساد الاداري، فضلا عن فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم . ولئن كان النظام الاداري متفسخا ومترديا في عهد السيطرة العثمانية على العراق، فسأنه في عهد الاحتلال

البريطاني لم يكن احسن حالا حيث عملت سلطة الاحتلال على ترسيخ أسس المجتمع القبلي(3) ، والتي من شأنها ان تربط الفرد بالتنظيم الاجتماعي وادراكه لحقوقه وواجباته في المجتمع بصورة عامة، وعدم تنمية الوعي الضريبي عنده بخاصة .

اما عن واقع الجهاز الاداري في العراق آبان الحكم الاهلي، فقد كان متخلفا ايضا ولا يزال حتى يومنا هذا، وهذا التخلف الذي يعيشه جهازنا الاداري ما هو الا تركه ورثها العراق من عهود السيطرة الاجنبية الطويلة، حيث ظلت آثارها باقية حتى الوقت الحاضر تنعكس العلاقة السلبية بين المواطن والجهاز الاداري، حيث ان التهرب الضريبي في العراق ازداد استعاضا بسبب تقضي ظاهرة الفساد الاداري داخل الجهاز الضريبي نفسه من غياب المساءلة والمحاسبة والقوانين الرادعة للفساد نفسه .

ان الادارة العامة في العراق كانت ولا تزال مطلقة اليمين تهمين على علاقاتها بالجمهور أسس لا انسانية ولا ديمقراطية وذلك بسبب غياب الرقابة السياسية الفعالة التي تمارس دور الاشراف والتوجيه للجهاز الاداري . وهذه السلوكية الوظيفية جاءت من عهود كان فيها العراق تحت نير الاستعمار الاجنبي الفاضح، حيث اعتمد على الادارة العامة كوسيلة لتثبيت اقدمه وتنفيذ رغباته

في الوقت الذي احجم فيه عن تشجيع اصحاب البلد في انشاء هيئات سياسية (كالبرلمانات والاحزاب) تمارس دور الرقيب والموجه للجهاز الاداري والترشيح للاجهزة الادارية لما يضمن اتساق خطتها مع مطامح المواطنين بغير استبعاد وودن استبداد(4) .  
وخلاصة القول ان مستوى كفاءة تنظيم الجهاز الاداري وطبيعة علاقته بالجمهور يلعب دورا مهما في تحديد درجة الوعي الضريبي لدى المكلفين بدفع الضرائب، اذ كلما ارتفع مستوى الوعي الضريبي لدى المكلفين للجمهور وكانت العلاقة بينه وبين الجهاز الاداري مبنية على أسس انسانية وديمقراطية، كلما زاد استعداد الافراد لدفع الضرائب .

**خاصاً : العامل السياسي :**  
يعتبر العامل السياسي من المقومات الرئيسة لمستوى الوعي الضريبي لدى المكلفين بدفع الضرائب، اذ كلما كان نظام الحكم وطنيا وقائما على أساس ديمقراطي سليم يرضى مصالح الافراد ويحتمل رغباتهم الحقيقية، كلما كانت العلاقة بين السلطة السياسية والشعب متينة والتي تعتبر شرطا اساسيا من الشروط الاخرى الواجب توافرها لقيام وعي ضريبي جيد، كما ان كل مواطن يجب ان يكون لديه الاحساس لكونه يتمتع حقا بخدمات مراقق الدولة كافة والتي تتولى بدورها الانضاق عليه من (عمليات التهرب المشروع) .

حصيلة الضرائب المستحقة منه، فضلا عن احساسه فعلاً بأنه مشترك في التكاليف العامة بواسطة ممثليه الحقيقيين في البرلمان، بالإضافة الى مشاركته في عملية انفاق هذه الضرائب عن طريق ائتك الممثلين السياسيين والواقع ان الشرط السياسي المشار اليه اعلاه لنمو الوعي الضريبي الجيد لم يتحقق في العراق خلال عهدي الاحتلال الاجنبيين، حتى خلال الحكم الاهلي الذي استمر لفاية (١٩٥٨،

ومن عرضنا للعامل السياسي يمكن ان نستخلص ان المحيط الملازم من الناحية السياسية لفرص وجباية الضرائب هو محيط الديمقراطية السياسية، فكلما سادت البلاد تقاليد وممارسات ديمقراطية، كلما أدى ذلك الى نشوء وتطور الوعي الضريبي فيه . ولا بد لنا قبل الانتهاء من عرض العامل السياسي وهو الاخير من العوامل التي ادت الى ضعف الوعي الضريبي في العراق، وعدت الولايات المتحدة الموقف السياسي للنظام السابق في العراق اتجاه فرض وجباية الضرائب، والذي أدى بدوره الى ضعف الوعي الضريبي بشكل مباشر .

ان الحكومة السابقة اخذت تنقل محاولات التهرب الضريبي (عمليات التهرب غير المشروع) لدى البعض من اعوانها الى تجنب ضريبي (عمليات التهرب المشروع) .

ونتيجة الاحساس لدى الكثير من صغار المكلفين بنجاح اعوان السلطنة على محاولاتهم التهربية الى عمليات تجنب مشروعة، باشر مجتمع المكلفين بالتخطيط للتهرب، او هؤلاء الاشخاص خارج التكليف التجنب، لا فرق بعد ان أصبح النموذج المائل وهو اعوان السلطة في أعلى درجات الامصادقية في التعامل مع قضية الضريبة .

فقد صدرت تشريعات عديدة تمنح اشخاصا او شرائح معينة امتيازات في المعاملة الضريبية او اعفاءات شاملة، بينما صدرت تشريعات ضريبية تم تفصيلها ليستفيد منها أشخاص بعينهم، فقد صدر تشريع بالغاء ضريبة التكرات غداة وفاة أحد الأشخاص البارزين من عائلة الرئيس السابق، نظرا الى امكانية خضوع تركته الى هذه الضريبة بسبب قيمتها المالية غير المحدودة . كما صدر عدد من القرارات باعفاءات شخصية مباشرة بالاسماء لعدد من الأشخاص المقربين او المسؤولين في الحزب والدولة، كاعفاء ارباح العقارات المبيعة من الضريبة كما مارس عدد من المكلفين .

الهوامش

- ١) د. منيس أسعد عبدالمك، مصدر سابق، ص٢١ .
- ٢) د. عبدالرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، صيدا، ١٩٤٨، ص١٤٤ .
- ٣) د. نزار توفيق الحسو، الوساطة، نظرة تحليلية في أسبابها واثارها وسبل معالجتها، مجلة التنمية الادارية، العدد السابع، نيسان، ١٩٧٧، ص٣١ .
- ٤) عماد أحمد الجواهري، مصدر سابق، ص٣٣٨ .

## اخبار موجزة

سنة النقاش

باشرت شركة كارتيت التركية اعمالها بعد توقيع اتفاقية تقضي بتزويد العراق بأكثر من ١٠٠٠ ميكا واط من الكهرباء وستصل الى هذا الرقم في غضون ستة اشهر من الاتفاق لحل مشكلة النقص الحاد بالكهرباء.  
بدأت وزارة الموارد المائية حملة واسعة لحفر الآبار في المحافظات ومنها الانبار والبصرة وكربلاء والناصرية خاصة في المناطق الصحراوية ضمن سعي الوزارة لتوفير المياه الصالحة للشرب وللري الزراعي في المناطق البعيدة عن مصادر المياه السطحية مع وجود خطة واسعة تحدث عنها المهندس ظافر عبد الله المدير العام لدائرة حفر الآبار المائية تتضمن حفر ٢٠٠ بئر ضمن مشروع تطوير الصحراء الغربية في العراق.  
تقوم مديرية ماء ميسان بإنشاء ١٣ محطة تحلية للمياه (R.O) سبع منها في مركز المحافظة والباقية تتوزع على الاقضية والنواحي وهذه المحطات ذات سعات مختلفة تبدأ من ٢٠٠ متر مكعب الى ٥٠ مترا مكعبا ومن المؤمل ان تبدأ هذه المحطات عملها مع بداية موسم الصيف القادم.

## دول الخليج تقتدي بدبي في العقارات والسياحة

وتحذو الدول العربية الخليجية حذو امارة دبي التي تطلق مشاريع عقارية وسياحية ضخمة، بوضعها خططا مماثلة لتنمية سياحتها وفتح قطاعاتها العقارية امام الرعايا الاجانب لتحفيز اقتصاداتها.

ويبدو ان دبي، إحدى الامارات السبع التي تتألف منها دولة الامارات العربية المتحدة والتي تطمح لتصبح مركزا رئيسيا للاعمال والسياحة في الخليج والمحسبين على عائلة الرئيس السابق، أنواع الضغوط على الجهاز الضريبي . مما جعل هؤلاء الاشخاص خارج التكليف الضريبي، او لضمان أدايتهم الضريبة بحبونها الدنيا. وعليه فإن بقية المكلفين الذين كانوا يرون انفسهم تحت طائلة التكليف الضريبي دون أية قواعد للمساواة كما تقضي بذلك قواعد الضريبة العلمية، اخذوا يبتكرون الاساليب المختلفة للتهرب الضريبي على قاعدة (الظلم المتساوي عدل) ليصبح التهرب المتساوي عدل. وبسبب الضخامة بأن الموارد الضريبية تذهب في الغالب الى تمويل نفقات تخص الحاكم وسلطته، أكثر مما تهم عموم ابناء الشعب، فقد بات السعي لتجنب اداء الضريبة يعني للكثيرين شكلا من أشكال المساهمة في عمليات المقاومة وصغار التباهي بمقاييم الضريبة بتلك الصورة يلقي ترحيبا واسعا لاسيما بين واساط المكلفين .

ومنذ ان تم استحداث وزارة للسياحة العام الماضي، تسعى سلطنة عمان من جانبها لتنمية سياحتها وفتح قطاعاتها السياحية معتبرة نفسها وجهة مميزة بفضل مناظرها الخلابة وشواطئها وجبالها العذراء، فضلا عن ثقافتها. وقال وكيل الوزارة محمد علي سعيد في السلطنة عدة مشاريع تهدف الى استقطاب الاستثمارات. والعام الماضي، أطلقت الحكومة العمانية مشروع الموجة الذي يتمثل بجمع بحري تقدر كلفته ب ٨٠٥ ملايين دولار يقام على الساحل الغربي من العاصمة مسقط وعلى مساحة ٤٠٠ الف متر مربع من البحر. وفي راس الحد الذي يبعد ٤٠٠ كلم جنوب شرق العاصمة، قررت السلطنة ان تبدأ عام ٢٠٠٦، بناء مجمع ساحلي جديد يضم مطارا وميناءا سكنية تعرض ايضا للبيع للاجانب. وأضاف سعيد لا تتنافس مع باقي دول الخليج، اننا متكامل، فيمكن مثلا للسائح ان يتسوقوا في دبي وان ياتوا الى هنا للاطلاع على الثقافة المحلية والتقايد الحقيقية والتراث الاصيل. من جهتها، تقوم مملكة البحرين الصغيرة الواقعة قبالة السواحل السعودية، والبلد العربي الخليجي الوحيد الذي لا يصدر النفط، ببناء مجمع تجاري وسكني وسياحي متطور. ومن المتوقع ان ينتهي مشروع ودان البحرين الذي سيضم ١٣ جزيرة يشيد عليها الفا فيلا بثلاثة الاف شقة وسيسمح للاجانب ان يتملكوا فيها، بحلول ٢٠٠٩ وستزيد مساحتها مرة ونصف المرة عن مساحة العاصمة المنامة. مليارات دولار.

## العقوبات الاقتصادية... أوروبا تفرض رسوماً جديدة على السلع الأمريكية

ومن جهة أخرى قالت كلود فيرون ريفيل المتحدثة باسم المفوضية الأوروبية مؤخرًا ان الاتحاد الأوروبي لن يتخلى عن تقديم مساعدات تجارية لشركة ايرباص دون تنازلات من الولايات المتحدة بشأن دعمها لمنافستها بوينج. وفي اشارة الى تلقي بوينج مساعدات من مصادر مختلفة تقول واشنطن انها ليست دما حاليا بما تعنيه الكيتمت قالت المتحدثة "مساعدة التدشين كل ما لدينا التوازن هو سبيل التفاوض".  
وقالت ان قرار الولايات المتحدة إنهاء المفاوضات الرامية لإنهاء الدعم لمنجى الطائرات المدنية لم يثر أزمة تجارية بين الجانبين وأضافت ان الخطوة التالية للولايات المتحدة المفاوضات متروكة للولايات المتحدة.  
وكان بيتر ماندلسون المفوض التجاري للاتحاد الأوروبي قد تعهد في وقت سابق بالآ يتخلى عن مصالح ايرباص في الحادثات مع واشنطن بشأن الدعم المقدم لشركة صناعة الطائرات الأوروبية ومنافستها الامريكية بوينج.  
وقال بيتر ماندلسون في افادة امام لجنة بالبرلمان الأوروبي "جد نزاما على ان اوضح اننا لن نتخلى عن حقوقنا او نتخلى عن ايرباص في اي مرحلة من هذه المفاوضات".  
والتقت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الشهر الماضي على التفاوض على اتفاق يهدف الى إنهاء دعم بيلغ مليارات الدولارات لشركة صناعة الطائرات بدلا من المتبادل داخل اجراء قانوني متبادل داخل منظمة التجارة العالمية في جنيف وقال ماندلسون "اهداف المفاوضات هي بالاساس اقامة منافسة عادلة تستند الى قواعد السوق بين بوينج وايرباص.

## التعهد بالمساعدات شيء... وتقديمها شيء آخر تماماً

شديدة، وكان يرى تكيف صناديق الخيرة السوفيتية القديمة وتحويلها الى طوالات عمليات جراحية و كان ينزعج باستمرار من المواد المستخدمة في التطبيب و التي كانت قديمة جدا بحيث كانت تمزق و تبلى بمجرد خياطة الجروح.  
مع ذلك فقد كان تيملان يرى تحقق بعض التقدم، فقد كان يجري تدريب المزيد من الأفغان في مجال الرعاية الصحية. و تبقى شبكات الصرف الصحي غير مكتملة، لكنها تتحسن. و ينطبق ذات الشيء على خدمات الكهرباء و الماء، و لكن تيملان يخشى من حدوث كارثة إذا ما نضبت الملياتر القادمة من الأطراف الناحية في مختلف أرجاء العالم.  
وقال تيملان عبر الهاتف من كابول : " يتحقق تقدم حقيقي هنا. أما إذا إختفت المساعدات، عندها سيتم فقدان كل ما حقق بسرعة". و يعمل تيملان في أفغانستان لمصلحة مؤسسة هوب ووردوايد الخيرية. ويشير الماضي الحديث الى حدوث ذلك بالفعل.  
فطوال نصف قرن كان البرنامج المسمى بالغذاء مقابل السلام يستخدم أموالا فيدرالية لشراء محاصيل أميركية و شحنها الى الخارج ككافحة الجامعة حول العالم. و قد طالب الرئيس بوش و وكالة التنمية الدولية الأميركية بمنح ١.٨٣ مليار دولار لتمويل برنامج المساعدات الغذائية هذا، و الذي كان مضمماً في الأساس بحيث يعتمد على الكفاية الذاتية. لكن الولايات المتحدة تسهم كذلك بما يتراوح بين ٣٥ الى ٤٠% من معونات الغذاء الطارئة عالمياً. و قد تناامت تلك الحاجة في عام ٢٠٠٤ الى ثلاثة أضعاف

مؤسسة أوكسفام أميركا بالقول : " إن السخاء النسبي في تقديم المعونات في سنة ما لا تعني مطلقاً بأن الحكومات المانحة ستستمر في الإهتمام". و في بعض الأحيان يمكن أن تتجاوز المنح الحكومية ما تم التعهد به أصلاً. فعلى سبيل المثال، وعدت الولايات المتحدة عام ٢٠٠٢ بمنح أفغانستان ٢٩٦ مليون دولار، و قد إنتهى بها المطاف بإنفاق ٣٥٦مليون دولار لإعادة إعمار أفغانستان.  
وحتى إذا ما حصل ذلك بالفعل، فإن إحتياجات أفغانستان لا تزال كبيرة. فبينما كان الطبيب مارك تيملان يعالج المرضى في أرجاء أفغانستان، كان يواجه بشكل روتيني حالات سوء تغذية



وفي حالات أخرى، يتضح فتور الإهتمام الدولي بمجرد زوال المشكلة السياسية، حيث يقدر خبراء المعونات بأن أفغانستان قد تسلمت ما يصل الى ٦٧% من مناشداتها الإنسانية عند الاطاحة بنظام طالبان عام ٢٠٠٢، لكن الإستجابة الدولية لمسأة الجفاف التي حلت بالبلاد بعد سنتين جاءت ضعيفة، حيث لم يجر منح سوى ٣٦% من المبالغ المطلوبة و تعلق هيلين داسيليفا من

## عقوبات اقتصادية... أوروبا تفرض رسوماً جديدة على السلع الأمريكية

والمدا / وكالات  
أقر كل من الاتحاد الأوروبي وكندا فرض رسوم جديدة بنسبة ١٥٪ على مستورداتهما من البضاعة الأمريكية، وذلك اعتباراً من الأول من مايو المقبل. وأوضح المفوضية الأوروبية أنها خلطوة ضد عدم التزام واشنطن بحكم أصدرته منظمة التجارة العالمية ضد قانون أميركي يهدف لتعويض الصناعات الأمريكية المتضررة من "العراق" السوق ببضائع تقل أسعارها عن مستوى ميلانيتها في الولايات المتحدة.  
وقال وزير التجارة الكندي جيم بيترسن إن الانتقام ليس خيار حكومة المفصل، لكنه شدد على أنه إجراء ضروري حتى يتم احترام قواعد التجارة الدولية. وستطبق الرسوم الإضافية على منتجات تشمل الورق والمنتجات الزراعية والمنسوجات والماكينات. ومن جهته أعرب ريتشارد ميلز المفاوض باسم الممثل التجاري الأميركي عن خيبة أمل بلاده لاتخاذ مثل هذه الخطوة، معتبرا أن الولايات المتحدة تفضل على الالتزام بقرار منظمة التجارة. وأضاف ان قرار المنظمة في النزاع الأساسية، مؤكدا ان بلاده ستستمر في تنفيذ قوانينها التجارية بقوة لضمان معاملة عادلة للأميركيين.  
وكانت منظمة التجارة العالمية قد أعلنت في تشرين الثاني من العام الماضي ان مثل هذه العقوبات مسوح بها.  
وتزيد الرسوم الجديدة المقترحة من قبل الاتحاد الأوروبي وقدرها ٢٨ مليون دولار من التوتور التجاري بين الاتحاد وواشنطن على قضايا مماثلة، مثل المعونة المقدمة لصناعة الطائرات وخفض الضرائب للمصدرين الأميركيين وقائمة الاتحاد للمحاصيل المعدلة وراثيا.

توجمة : عمار أسعد  
عن صحيفة كانساس  
سيديا ستار